

المقاصد التعليمية في متون النحو العربي دراسة في متن الأجرومية

د. عبد القادر بن زيان
جامعة الجلفة

ملخص

تعد المنظومات التعليمية أو ما يصطلح عليها " الشعر التعليمي " من الظواهر التي برزت في العصر العباسي، دفع إلى ظهورها انفتاح الحضارة الإسلامية على ثقافات متعددة، فكان من مقاصدها نشر مختلف العلوم والفنون وتسهيل حفظها على المتعلمين، فقد تضمنت فنونا مختلفة، كالنحو، والفقه، والمنطق وغير ذلك، وعليه فقد جعلها العلماء وسيلة تعليمية مقصديتها تقرير العلوم وتثبيتها وتسهيل حفظها على المتعلمين، لأن النظم أعلق بالذهن من الشر وأسهل حفظا. وبهذا المعنى فإن منظومة ابن آج الروم النحوية جزء من تاريخ علم النحو ونمط من أنماط التأليف النحوي وحلقة من حلقاته، ذلك أنها تضمنت أهم أبواب النحو العربي، فقد اعتمد فيها صاحبها على المقاصد التعليمية، كمقصد التدرج والإيجاز، والتيسير والوضوح وتنويع طرائق التعليم، والاعتماد على الشاهد والمثال والانتقال من الجزئيات إلى الكلّيات.

الكلمات المفتاحية: المتن، القصد، التعليمية، النحو، الطرائق، التدرج، التيسير، الإيجاز، التنويع

The education poem that called in Arabic (Manthoumat) is one of the phenomena that appeared in Abbasid era, led to its appearance the opening of Islamic cultures on different civilizations among their purposes are spread various sciences and facilitating it on learners. It includes many arts like grammar, logic, and jurisprudence. In this sense, we can consider it as means to fix sciences and save it because the system (education poem) is fixed than prose. System of IBNADJROUM is part of history of Arabic grammar; it included the most important sections of Arabic grammar in which the author relied on education purposes like: conciseness, clarity, diversification of teaching of methods, dependence on example and witness and moving from part to all.

Keywords: Manthoumat, verse, intention, education, grammar, means, conciseness diversification teaching, methods

تمهيد:

تعد المنظومات التعليمية أو ما يصطلح عليها " الشعر التعليمي " من الظواهر التي برزت في العصر العباسي، دفع إلى ظهورها انفتاح الحضارة الإسلامية على ثقافات متعددة، فكان من مقاصدها نشر مختلف العلوم والفنون وتسهيل حفظها على المتعلمين، وقد أخذت المنظومات التعليمية من الشعر بنيتها الخارجية فتوسلت بأوزانه وقوافيه ونظمت في فنون مختلفة، كالنحو، والفقه، والمنطق وغير ذلك وعليه فقد جعلها العلماء وسيلة تعليمية مقصديتها تقرير العلوم وتثبيتها وتسهيل حفظها على المتعلمين لأن النظم أعلق بالذهن من الشر وأسهل حفظا.

لقد اختلف مؤرخو الأدب العرب في أصل ومنشأ المنظومات التعليمية، فردها بعضهم إلى أصول أعجمية، وردّها البعض الآخر إلى أصلها العربي، من ذلك أن أحمد أمين الذي رأى أن أصولها هندية⁽¹⁾ ورأى " يوهان فك " أن لها امتداداً في الثقافة الفارسية⁽²⁾، وأرجع " طه حسين " أصولها إلى الثقافة اليونانية⁽³⁾، أما شوقي ضيف فقد اعتبر الظاهرة من الثقافة العربية المتمثلة في الأراجيز المثقلة بالغريب والأساليب الشاذة التي نظمها أصحابها من أجل أهل اللغة⁽⁴⁾.

لقد ألفت النحاة المتقدمون تأليفهم النحوية وقد ضمنوها المسائل النحوية المختلفة، فاستطردوا وفصلوا في ذكر المسائل النحوية، فكثرت الشروح والحواشي وتفاصيل المسائل الفرعية الأمر الذي دفع بطائفة من العلماء إلى اختصار هذه المسائل وتبسيطها في منظومات تسهل على المتعلم حفظها وفهمها.

اصطلاحات المتن والشرح والتقرير:

المتن: المتن في اللغة: « الميم والتاء والنون أصل صحيح واحد يدل على صلابة في الشيء مع امتداد وطول، منه المتن: ما صُلِبَ من الأرض وارتفع وانقاد والجمع مِتان»⁽⁵⁾. وهو في اصطلاح المحدثين: « ما انتهى إليه السند من الكلام»⁽⁶⁾ ، وهو بعبارة الكفوي: «المتن: الظاهر، وما ينتهي إليه السند من الكلام»⁽⁷⁾ ، وبهذا المعنى فإن اصطلاح المتن عند أهل العلم يراد به مبادئ فن من فنون جمعت في رسائل صغيرة خالية من الاستطراد والتفصيل والشواهد والأمثلة إلا في حدود الضرورة كما الشأن بالنسبة لمتن اللغة في النحو والصرف والأصوات

والشرح: الشرح في اللغة: «الكشف تقول: شرح الغامض أي فسره وبابه قطع»⁽⁸⁾ وجاء في الفروق للكفوي معنى الشرح بهذا المعنى: «شرحت الأمر بينته وأوضحته»⁽⁹⁾ ، وعليه فإن الشرح عمل يراد منه توضيح ما كان مبهما من المتن أو تفصيل ما أُجمل منها، ومن ثم فإن الشروح تختلف قصراً وطولاً وعسراً ويسراً

الحاشية: الحاشية في اللغة: « واحدة حواشي الثواب وجوانبه»⁽¹⁰⁾ ، « والحاشية ما علق على الكتاب من زيادات وإيضاح»⁽¹¹⁾ ، وهي بهذا المعنى إيضاحات وشرح مطولة دعت إليها ظاهرة انتشار المتن والشروح وقد قصد منها حل ما يستغل من الشرح وتيسير ما يصعب فيه واستدراك ما يفوته والتنبه على الخطأ، بالإضافة النافعة وزيادة الأمثلة والشواهد.

التقرير: «التقرير: بيان المعنى بالعبارة»⁽¹²⁾، مما يفهم أن التقرير هامش أو ملاحظات كان يسجلها العلماء والمصنفون على أطراف نسخهم مما ينقدح لهم من الخواطر والأفكار في مسألة أو مسائل وذلك أثناء قيامهم بالتدريس من الشروح والحواشي. وعليه فإن المسألة الواحدة تشتمل على صاحب المتن وصاحب الشرح وصاحب الحاشية، ثم يأتي صاحب التقرير ويقرأ هذه الكتب الثلاثة المتن والشرح والحاشية فيرى مخالفة للشارح أو مخالفة لصاحب الحاشية فيكتب تقريرا على الحاشية، وهناك كذلك ما يسمى بالتقرير على التقرير.

تعد المنظومات النحوية جزءاً من تاريخ علم النحو ونمط من أنماط التأليف النحوي وحلقة من حلقاته ومرحلة من مراحلها أثرت فيما بعدها من مؤلفات، فقد ظهرت ثم ازدهرت ونمت وحافظت على مكانتها مدة طويلة من الزمن، فهي ذات قيمة علمية كبيرة ولها دور عظيم في تنشيط الحركة الثقافية إضافة إلى أنها لا تزال وسيلة من وسائل نقل العلم وتعليمه، وهذا يدل على قوتها ومقدرتها على حمل التراث النحوي للمنظومات قد قامت في المقام الأول على عملية الحفظ، وهي عملية أساسية في العلم وطريقة لها ما يسوّغها في عصر ابتداء وانتشار المنظومات وفي جميع العصور .

ابن آج الروم: هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن داود الصنّهاجي، المعروف بـ (ابن آجروم) وفي تسميته بهذا الاسم مسألتان: الأولى أنه يُقال لابن آجروم: (الصنّهاجي) نسبة إلى قبيلة صنّهاجة بالمغرب . قاله الحامدي - رحمه الله الثانية: أن كلمة : (آجروم) لها معنى، وضبط . فأما المعنى: فهو : الفقير الصوفي، وذلك بلغة البربر . قال ابن عنقاء «هي كلمة أعجمية، بلغة البربر، معناها: "الفقير الصوفي" ، على ما قيل . لكني لم أجد البرابرة يعرفون ذلك»⁽¹³⁾ .
وأما ضبط التسمية: فعلى أوجه :

الأول: بفتح الهمزة مع مدّ، وجيم مضمومة مُحْفَفة، وراء مهملة مضمومة مع تشديد وتثقل، هكذا : (أَجْرُوم) قاله ابن عنقاء، وبه قطع السيوطي⁽¹⁴⁾ الثاني: كالأول، غير أن الجيم تكون مفتوحة على هذا النحو: (أَجْرُوم) وهذا هو المنقول عن الجمال المطيب . الثالث : بفتح الهمزة دون مدّ وجيم ساكنة وراء مهملة مضمومة دون تشديد، على هذا النحو: (أَجْرُوم) وهو منقول عن ابن آجروم نفسه ، قاله ابن الحاج في: [العقد الجوهري] . الرابع : ما حكاها السيوطي في البغية بقوله : «

رأيت بخط ابن مكتوم في تذكرته فقال : محمد بن محمد الصنهاجي أبو عبد الله ، من أهل فاس، يعرف بأكروم نحوي مقررئ
«(15)

مولده ووفاته:

مولده : يقول ابن الحاج : «ولد سنة اثنتين وسبعين وستمائة بمدينة فاس في السنة التي توفي فيها ابن مالك» وبذلك جزم ابن العماد في [شذرات الذهب]. وأما وفاته: فيقول الحلاوي في شرحه للجرومية «وكان مولد مؤلف الجرومية عام اثنتين وسبعين وستمائة، وكانت وفاته سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة في شهر صفر ودفن داخل باب الجديد بمدينة فاس ببلاد المغرب»⁽¹⁶⁾ مكانته العلمية: قال السيوطي - رحمه الله - :«وصفه شراح مقدمته كالمكودي والراعي وغيرهما، بالإمامة في النحو والبركة والصلاح، ويشهد بصلاحه عموم نفع المبتدئين بمقدمته». وقال تاج الدين ابن مكتوم القيسي الحنفي عنه: «نحوي مقررئ، وله معلومات من فرائض وحساب وأدب بارع، وله مصنفات وأراجيز في القراءات وغيرها والغالب عليه معرفة النحو والقراءات»⁽¹⁷⁾.

مصنفاته : كان له - رحمه الله - مصنفات أشار إليها ابن مكتوم في: [تذكرته] بقوله: «وله مصنفات وأجيز في القراءات وغيرها»، والمعروف من كتبه⁽¹⁸⁾: المقدمة الأجرومية في علم العربية، فرائد المعاني في شرح حرز الأماني، البارع في قراءة نافع، نظم الاستدراك على هداية المرتاب .

توصيف لمتن الأجرومية: لم يسمَّ المصنّف - رحمه الله - كتابه هذا باسم، إنما سُمِّيَ به فقيلاً: (الأجرومية) أو: (الجرومية) وهذا من باب النسبة، لأن المركب الإضافي الملبدوء ب (ابن)، وهو هنا كذلك، عند النسبة يُحذف صدره (ابن) وينسب إلى عجزه (أجروم). وقال بعض الشراح : «إنما سُمِّيَت الأجرومية ب (المقدمة)، لأنها توصل المشتغل بها إلى المطولات من كتب النحو والإعراب كمقدمة الجيش التي تتقدم أمامه، لتهيئ له في المحل الذي ينزله ما يحتاج إليه». وهو معنى لطيف متّجه، وقد تنوعت العناية بالأجرومية، فمنهم من نظمها كعبد السلام النبروي، وإبراهيم الرياحي وعلاء الدين الألوسي والعمريطي وغيرهم. ومنهم من تمّمها كالخطاب، ومنهم من شرحها - وهم كثير، عدّد صاحب [كشف الظنون] منهم أكثر من عشرة - كالمكودي والراعي والأزهري والرّملي.

وقد اتضح لي من البحث أن أسباب ذبوع الأجرومية هي صغر حجمها وسهولة مواضيعها، فهي إذ ذاك موضوعة للمبتدئين، إذ اكتفى صاحبها ابن آج الروم فيها بالأسس النحوية العامة مراعاة لمستوى المتعلمين فقد أغفل ذكر بعض الأبواب التي لا حاجة للمبتدئين فيها، مثل: إعمال الصفة المشبهة باسم الفاعل، وباب الاختصاص والتنازع والاشتغال، وكذا المسائل التفصيلية التفرعية، كالتفصيلات التي نجدّها عند ابن مالك. كذلك خلت «الأجرومية» من التفصيلات التي لا حاجة بها للمتعلم المتبديء الذي لا يزال بحاجة إلى مبادئ العلوم، وكذلك نلفيها قد خلت من ذكر الخلافات النحوية التي تُشكّلتُ بمجهود المُعلِّم وتثقل كاهل المُتعلِّم كما أغفلت الأحكام النحوية المتعلقة بلهجات بعض القبائل العربية مثل قول ابن مالك عند بيان البنية الصرفية للفعل: "عسى":

والفتح والكسر أجز في السين من * نحو عَسَيْت وانتفا الفتح زكن⁽¹⁹⁾

لقد سلك صاحب المقدمة الأجرومية منهجا اقتصر فيه على كبرى أبواب النحو وأصوله، وقد أشار إلى ذلك غير واحد ومنهم الأزهري في أول شرحه على الأجرومية. واتبع الكوفيين في عباراتهم يقول السيوطي في بغية الوعاة: «وهنا شيء آخر، وهو أنّا استفدنا من مقدمته أنه كان على مذهب الكوفيين في النحو، لأنه عبّر بالخفض، وهو عبارتهم، وقال: الأمر مجزوم، وهو ظاهر في أنه معرب وهو رأيهم . وذكر في الجوازم : "كيفما"، والجزم بما رأيهم، وأنكره البصريون، ففتنّ»⁽²⁰⁾ .

المقاصد التعليمية في متون النحو العربي:

مقصدياً الإيجاز: الإيجاز أداء المقصود بأقل من العبارة المتعارف عليها⁽²¹⁾، وعليه فإن الإيجاز في الاصطلاح البلاغي هو التعبير عن المعاني الكثيرة بالألفاظ القليلة، وعكسه الإطناب وهو التعبير عن المعاني القليلة بالألفاظ الكثيرة، فإن كانت الألفاظ على قدر المعاني سمي ذلك بالمساواة والإيجاز في القاعدة هو أن يصاغ مضمونها في ألفاظ قليلة محكمة مرصوفة، تكون بمثابة قانون كلي يرجع إليه لاستحضار الفروع والجزئيات التطبيقية المختلفة، فتصاغ في جملة مفيدة من كلمتين أو ثلاث كلمات أو نحو ذلك، مما يجعلها بعيدة عن أن يكون بها حشو أو شيء من زوائد الكلام، لأن مقام التقييد أولى بتهديب الكلام وتنقيحه وتنقيته من شوائب الإطالة والتكرار وما زاد على ما يحصل به المطلوب.

والمستحب لعمل العلماء في صياغة المصنفات والمتون العلمية، يجد أنهم يستغنون عن الكلمة كلما استقام المعنى بدونها، بل وعن الحرف الواحد إذا أمكن. فإن لم يلتزم بذلك صار محلاً للنقد والتعقيب بالتعليق ووصف بالإطالة المنافية لطبيعة المتون. فإذا كان الإيجاز مطلوباً إلى هذا الحد في صياغة المتن وترصيصه هكذا فهو في صياغة القاعدة وإحكامها واجب وأكد. فكلما أمكن صياغتها في أقل الكلمات لا يعدل إلى أكثر. وهذا ملحوظ في المخر من متون النحاة، كقولهم عند تعريف الكلام:

كلامنا لفظ مفيد كاستقم * اسم وفعل حرف الكلم⁽²²⁾

وقوله في تعدد الخبر:

وأخبروا بواحدٍ أو بأكثر * عن واحدٍ كههم سراً شعراً⁽²³⁾

أو قول ابن آج الروم في تعريفه للإعراب: «هو تغيير أواخر الكلم لاختلاف العوامل الداخلة عليه وقوله في أقسام الإعراب:» وأقسامه أربعة: رفع ونصب وخفض وجزم⁽²⁴⁾

مقصدياً للوضوح: الوضوح في القاعدة النحوية أو الصرفية هو ظهور معناها من جهة معناها. وذلك بمجرد قراءة عباراتها التي صيغت بها، وألفاظها التي بنيت منها، ينكشف مضمونها ويدرك محتواها وصفة الوضوح في القاعدة مكتملة لصفة الإيجاز السابقة، لأن الإيجاز من غير وضوح قد يكون ضرباً من الإلغاز ينبهم معه معنى القاعدة، فلذلك لا بد مع الإيجاز من وضوح المعنى الإجمالي للقاعدة، ومن ثم ينبغي أن يراعى في القاعدة النحوية ما يلي:

أ/ انتقاء الألفاظ الدقيقة ذات الدلالة الاصطلاحية: ينبغي أن يراعى دقة المصطلحات النحوية والأصولية التي لا تفضي إلى التعدد والاحتمال ومن ثم لا ينبغي أن يصار إلى الألفاظ اللغوية ذات الدلالة الأدبية، لأن القاعدة النحوية يجب أن يكون أسلوبها على قدر كبير من العلمية، كما يقول ابن مالك - مثلاً عند حديثه عن الخبر: «والخبر الجزء المتم الفائدة»⁽²⁵⁾ قاعدة مكونة من أربعة ألفاظ كلها ذات دلالة اصطلاحية ظاهرة محددة منضبطة علمية.

ب/ أن تكون القاعدة في عبارتها نصّاً على حكمها الذي تتضمنه: بحيث لا يكون فيها مجال للاحتمال والتردد، لأن " النص " في الاصطلاح هو ما دل على معنى دون احتمال غيره كقول ابن آج الروم عند بيانه لأقسام الكلام: « وأقسامه ثلاثة: اسم وفعل وحرف جاء لمعنى»⁽²⁶⁾

ج/ الاطراد أو الأغلبية: ورد لمعنى التتابع، والاستمرار، والجريان والاستقامة، «اطرد الأمر تبع بعضه بعضاً وجرى واطرد الحد: تتابعت أفرادها وجرت مجرى واحداً كجري الأنهار»⁽²⁷⁾، فالمقصود به تعلق حكمها بجميع جزئياتها دون تخلف واحدة منها، بحيث يتحقق فيها المعنى اللغوي المذكور من تتابع واستمرار، وجريان واستقامة. فالتتابع: أن يتبع بعض فروعها بعضاً في الحكم الجامع. والاستمرار: أن يستمر هذا التتابع من غير توقف. والجريان: أن يجري حكمها على جزئياتها كجريان النهر من غير توقف. والاستقامة: كونها لا تتخلف ولا تحيد، فاطراد القاعدة هو الأصل فيها لكن قد يتخلف حكمها بشذوذ بعض

جزئياتها عن الاندراج فيه وحينئذ يكون تعلق القاعدة بجزئياتها أغلبياً وهذا هو حال معظم القواعد الفقهية وواقعها كما دل عليه التتبع والاستقراء، حتى قرر العلماء أن من القواعد: عدم اطراد القواعد، وأن لكل قاعدة استثناء، ومن أمثلة اطراد القواعد النحوية ما أشار إليه ابن مالك في قوله⁽²⁸⁾:

الحال وصف فضلة منتصب * مفهم في حال كفراداً أذهب

وكونه منتقلاً مشتقاً * يغلب لكن ليس مستحقاً

وقول ابن آج الروم: «الحال هو الاسم المنصوب المفسر لما انبهم من الهيئات»⁽²⁹⁾

مقصدية التيسير: لقد أدرك العلماء الأوائل وجود فرق جوهري بين النحو وتعليم النحو، ولهذا لجئوا في القضاء على صعوبة النحو إلى تيسير تعليم النحو لا تيسير النحو، فاهتدوا إلى نظم الظاهر اللغوية منها الصوتية والصرفية والنحوية ضمن متون منظومة أو منثورة، كل ذلك بقصد تيسير تعلم قواعد النحو وتيسير حفظها وقد ظهر التعليم والتسهيل على المتعلمين من ناحيتين: المحتوى، وطرائق ترتيب المحتوى. أما المحتوى فنلاحظ أن معظم المنظومات النحوية اتسمت بالشمول والاختصار فقد اختصرت القواعد النحوية بخلوها من الحشو كالتعريفات وبعض الأبواب التي لا تهم المتعلم مع شمولها لمعظم أبواب النحو ومسائله، وهذا يختصر على المتعلم الوقت ويزيد في استيعابه. أما الترتيب فنلاحظ أن أغلب الناظمين بنى نظمه وفق نظرية العامل، إما العامل نفسه كما فعل ابن مالك، وإما المعمولات التي هي أثر للعامل كما فعل ابن الحاجب. وهذه النظرية تعليمية مناسبة للفكر لما فيها من ترابط المسائل في الأبواب، وهذا يساعد المتعلم على الترتيب الذهني وعلى التذكر أيضاً⁽³⁰⁾. ومن مقاصد التيسير في المقدمة الأجرومية ما نجده عند البدء بذكر علامات الاسم قبل بيان حقيقة كل قسم وتعريفه وذلك في قوله: « فالاسم يعرف بالخفض والتون ودخول اللام»، ومن هنا فقد ذهب بعض الشراح إلى أن الأولى للمصنف - رحمه الله - أن يذكر حقيقة كل قسم وتعريفه قبل أن يذكر علاماته ورد على ذلك: بأن ذكر العلامات أسهل على المبتدئ في التمييز بين أنواع الكلام وأقسامه خلافاً لتعريف كل قسم وذكر حقيقته فقد ينبهم على المبتدئ.

لقد كان القصد من أغلب المنظومات النحوية هو تيسير النحو وجعله قريباً من أذهان متعلميه، ولهذا اختلفت المنظومات من جهة الطول والقصر تبعاً لاختلاف من كان مقصوداً بنظمها، فبعض المنظومات قُصد بها المبتدئون، لأن الهدف منها تعليم النحو، فيجدها المتعلم مختصرة وغير طويلة وبعضها قُصد به من هو أعلى مرتبة من المبتدئين، لأن الهدف منها تيسير النحو بجعله قريباً من أذهان متعلميه فيجدها المتعلم أكثر طولاً وتفصيلاً للمسائل المختلفة طويلة، ومن ثم فإن المتعلم يلمس فيها كثرة التفرعات والتقسيمات، ومن هنا نلني الناظمين الذين ألفوا منظومات للمبتدئين حريصين على اتباع مناهج التعليم في منظوماتهم، وقد ظهرت سمات هذه المناهج بارزة في تلك المنظومات، وإن كانت مناهج التعليم موجودة فيها كلها ولكن بنسب متفاوتة.

مقصدية التدرج في العملية التعليمية: سعى الناظمون إلى تعليم النحو باستخدام وسيلة النظم وراعوا في منظوماتهم أن تتوافق مع طريقة التفكير الإنساني القائمة على التدرج من الجزئيات إلى الكلّيات أو العكس لأن طريقة التعليم يجب أن تكون منسجمة مع طريقة التفكير، أي بما يناسب طبيعة المتعلم من جهة قدرته على الفهم والتحليل للمسائل النحوية، ومن مقاصد التدرج في العملية التعليمية ما نجده في متن الأجرومية في باب النعت إذ نلني ذكر المعرفة قبل النكرة يقول صاحبها: « والمعرفة خمسة أشياء: الاسم المضمّر نحو أنا وأنت لله والاسم العلم نحو زيد ومكة والاسم المبهّم نحو هذا وهذه وهؤلاء لله والاسم الذي في الألف واللام نحو الرجل والاسم المضمّر لله وما أضيف إلى واحد من هذه الأربعة»⁽³¹⁾، هذه الجملة ذكر فيها المصنّف - يرحمه الله - المعرفة والنكرة، وقدم المعرفة على النكرة ذكراً، لعلو منزلتها مع أن كثيراً من النحويين يقدمون النكرة،

لأنها الأصل ولأن المعارف مستخرجة منها، ومن هنا استخدم الناظمون في منظوماتهم بعض طرائق التدريس التي عُرِّفت في عصرنا الحديث والتي تتفق مع طريقة التفكير، من ذلك ما نلمسه من ملمح التدرج في المقدمة، فقد قدم المصنف المعرفة على النكرة مراعيًا في ذلك حال المتعلم وطبيعته، إذ يحمله في ذلك على التدرج في فهم المسائل النحوية، ذلك أن معرفة الشيء المحدد ذا العدد أسهل من معرفة ما هو أوسع منه دائرة وبدون حد وعدد، وهو ما يُسمّيه العارفون بمراعاة التدرج في التعليم، وفي هذا السياق نجد متون النحو العربي تستند في الفهم والتحليل إلى حمل المتعلم على الاستنتاج والاستقراء: أ/طريقة الاستنتاج، وهي انتقال الفكر من الحقائق العامة إلى الحقيقة الجزئية، أو من الكل إلى الجزء⁽³²⁾ ونلمح هذا في الأبيات المقتصرة على بيان القاعدة فقط أو المشتملة على بيان قاعدة مع التمثيل لها ومن الأمثلة على ذلك ما نجده في ألفية ابن مالك⁽³³⁾ :

وخبر المحصور قدّم أبدا * كما لنا إلا اتباع أحدا

وهذه الطريقة هي الشائعة في أكثر المنظومات ومنها ألفية ابن مالك، لأن كتب النحو تتسم غالبًا بتقديم القاعدة العامة ثم تتبعها بالأمثلة التي توضّحها، كالذي نجده في متن الأجرومية، في باب الخبر قوله: «والخبر هو الاسم المرفوع المسند إليه، نحو قولك: "زيد قائم"، و"الزيدان قائمان"، و"الزيدون قائمون»⁽³⁴⁾

ب/الاستقراء: أيضا نجد محور جُلّ المنظومات مبنيا على الطريقة الاستقرائية، إذ نجد هذه المنظومات تتناول بحث الجزئيات سعيا للوصول إلى الكليات⁽³⁵⁾، فهي تدرس الوظائف النحوية للمفردات وعلاماتها الإعرابية فالجملة الاسمية مثلا لا تدرس في إطارها الكامل وإنما تدرس في جزئياتها، كباب المبتدأ والخبر، وكذلك الجملة الفعلية لا تُدرس في إطارها الشامل، وإنما تُدرس في جزئياتها، مثل: باب الفاعل وباب نائب الفاعل، وباب المفعول، وباب الحال... الخ، فالمركبات والأساليب إذن لم تتناول الدراسة إلا في جزئياتها، وهذه طريقة تعليمية مناسبة للفكر، لما فيها من ترابط بين الأبواب ومسائل الباب الواحد وهذا يساعد المتعلم على الترتيب الذهني وعلى التذكر أيضا. ومن أدلة الاستقراء في المقدمة ما نحده عند بيان صاحبها لأقسام الإعراب: «وأقسامه أربعة» فيه مقاصد: يعني أن الأقسام الأربعة للإعراب هي نتيجة الحصر الاستقرائي التام فهي لا تخرج عنها البتة، ومن أدلة الاستقراء التام كذلك استقراء أنواع الأفعال التي ذكرها في المقدمة: «الأفعال ثلاثة ماض، ومضارع، وأمر نحو: ضرب، ويضرب واضرب لله»⁽³⁶⁾

مقصدية تنوع طرائق التعليم: ومن المقاصد التعليمية تنوع طرائق التعليم لإيصال المراد كالانتقال من الإجمال إلى التفصيل، أو من التفصيل إلى الإجمال، كما فعل المصنف في باب بيان علامات الإعراب، فقد أشار إليها مجملًا ثم لخصها في باب سماه "باب معرفة علامات الإعراب" وذلك لأهمية علامات الإعراب خصوصاً وأن المصنف - يرحمه الله - لم يذكر البناء .

مقصدية الاستشهاد والتمثيل: ومن المقاصد التعليمية إيراد تعريف الحكم النحوي مع التمثيل له بالأمثلة المختلفة، كالذي نجده في قول ابن آج الروم: «نحو قولك: زَيْدٌ قَائِمٌ والزيدان قائمان والزيدون قائمون»⁽³⁷⁾ ونحو قولك: «وأما الألف فتكون علامة للنصب في الأسماء الخمسة نحو: " رأيت أباك وأحاك وما أشبه ذلك»⁽³⁸⁾، ومن المواطن التي يورد فيها التمثيل بغية التوضيح ما نجده في أقسام الفاعل إذ يقول: «وهو على قسمين ظاهر ومضمر، فالظاهر نحو قولك: قام زيد ويقوم زيد قام الزيدان، ويقوم الزيدان، وقام الزيدون ويقوم الزيدون، وقام الرجال، ويقوم الرجال، وقامت هند، وتقوم هند، وقامت الهندان وتقوم الهندان وقامت الهندات، وتقوم الهندات وتقوم الهندود، وقام أخوك، ويقوم أخوك، وقام غلامي ويقوم غلامي، وما أشبه ذلك»⁽³⁹⁾

خاتمة: تنتهي مما سبق الحديث عنه إلى أن الناظمين الأوائل قد تضمنت منظوماتهم المبادئ والطرائق التعليمية الحديثة التي تهدف إلى إنجاح العملية التعليمية، وذلك بالنظر إلى طبيعة المتعلم، ومن ثم فقد اشتملت منظوماتهم على أسس تعليمية تربوية نادى بها المحدثون وعليه فقد تجلت فيها المقاصد التعليمية كاعتبار الفروق الفردية بين المتعلمين ومداركهم العقلية، وكمراعاة مبدأ التدرج والتيسر والانتقال من الجزئيات إلى الكلّيات وغيرها.

الهوامش

- 1 أحمد أمين، ضحى الإسلام، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1949، ج1، ص258
- 2 يوهان فك، العربية، ترجمة: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1980، ص105.
- 3 طه حسين، حديث الأربعاء، دار المعارف، القاهرة، 1958، ج1، ص221.
- 4 شوقي ضيف، التطور والتحديد في الشعر الأموي، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1952، ص345.
- 5 ابن فارس، أبو الحسين أحمد، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، دون ط، ج5، ص294.
- 6 علي بن محمد الجرجاني، التعريفات تح: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار الفنائس، بيروت، ط2، 2007، ص281.
- 7 الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني، الكلّيات تح: عدنان درويش و محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1998، ص874
- 8 الرازي محمد بن أبي بكر، مختار الصحاح، تحقيق: مصطفى ديب البغا، دار الهدى، الجزائر، ط1990، ج4، ص217.
- 9 نفس المرجع، ص538.
- 10 الرازي، مختار الصحاح، ص97.
- 11 إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، دار الأمواج، بيروت، ط1990، ج2، ص177.
- 12 الكفوي، الكلّيات، ص310.
- 13 ينظر: السيوطي بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، لبنان، ط1979، ج2، ص1238.
- 14 نفس المصدر، ج1، ص238
- 15 نفس المصدر، ج1، ص239.
- 16 نفس المصدر، ج1، ص239.
- 17 نفس المصدر، ج1، ص239.
- 18 محمد الهاشمي، التوضيحات الجلية في شرح الأجرومية، دار الظاهرية، الكويت، ط2011، ج1، ص08.
- 19 شرح ابن عقيل، ج1، ص343
- 20 السيوطي، بغية الوعاة، ج1، ص238.
- 21 الشريف الجرجاني، التعريفات، ص100.
- 22 بن عقيل، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، مكتبة دار التراث، القاهرة، ط1999، ج1، ص13.
- 23 نفس المرجع، ج1، ص256.
- 24 محمد محي الدين عبد الحميد التحفة السنية بشرح المقدمة الأجرومية، مكتبة السنة، القاهرة، 1989، ص13

- 25 ابن عقيل، شرح ابن عقيل، ج1، ص201
- 26 محمد محي الدين عبد الحميد، التحفة السننية بشرح المقدمة الأجرومية، ص07.
- 27 الكفوي، الكليات، ص140.
- 28 ابن عقيل، شرح ابن عقيل ج2، ص244242.
- 29 محي الدين عبد الحميد، التحفة السننية، ص109
- 30 ينظر: عبد الرحمن ممدوح، المنظومة النحوية دراسة تحليلية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1998، ص265
- 31 محي الدين عبد الحميد، التحفة السننية، ص84.
- 32 ينظر: صالح ذياب هندي وهشام عامر عليان، دراسات في المناهج والأساليب العامة، دار الفكر، عمان، ط1995، 6، ص190
- 33 ينظر: شرح ابن عقيل، ج1، ص240.
- 34 محمد محي الدين عبد الحميد، التحفة السننية، ص70.
- 35 ينظر: عبد الرحمن ممدوح، المنظومة النحوية دراسة تحليلية، ص265
- 36 محي الدين عبد الحميد، التحفة السننية، ص50.
- 37 نفس المرجع، ص65.
- 38 نفس المرجع، ص31.
- 39 نفس المرجع، ص63